CC BY NC SA

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

مقياس: الميتافيزيقا

الدرس السادس

الميتافيزيقا في الفلسفة الحديثة

الأستاذ المدرس

الاسم واللقب	الرتبة	الإيميل
عقبة جنان	أستاذ	okba.djenane@univ-biskra.dz

الطلبة المعنيون

القسم	السنة	التخصص
العلوم الإنسانية والاجتماعية	3 ليسانس	فلسفة

مخرجات الدرس:

تمكّن هذه المحاضرة الطالب من فهم التحوّل الذي عرفته الميتافيزيقا في العصر الحديث، من البحث في الجوهر والعلل إلى تحليل العقل ذاته وشروط إمكان المعرفة. كما يستوعب الفروق بين الميتافيزيقا العقلانية والتجريبية، وصولاً إلى النقد الجذري الذي قدّمه كانط للميتافيزيقا التقليدية. ويدرك الطالب كيف انتقلت الميتافيزيقا من اليقين العقلي عند ديكارت إلى نفي السببية والهوية الذاتية عند هيوم. وأخيراً، يصبح قادراً على تتبّع السياق الذي أعاد فيه كانط تعريف الميتافيزيقا كبحث في بنية العقل لا في الأشياء في ذاتها.

- **مقدمة عامة**

تمثّل الفلسفة الحديثة (من القرن 17 إلى القرن 18 تقريباً) مرحلة مفصلية في تاريخ الميتافيزيقا؛ إذ شهدت انتقالاً من التفكير التقليدي القائم على التراث اليوناني والوسيط إلى منهج عقلي نقدي جديد. سعى الفلاسفة المحدثون إلى إعادة تأسيس المعرفة على أسس يقينية، مما جعلهم يعيدون النظر في أسئلة الوجود، والجوهر، والعقل، والذات، والله، والسببية. لقد كانت الميتافيزيقا في هذه المرحلة ساحة صراع بين العقلانيين والتجريبيين، قبل أن تصل إلى نقد جذري مع كانط، الذي أعاد تعريف حدودها وإمكاناتها.

أولاً: الميتافيزيقا عند الفلاسفة العقلانيين

1. رينيه ديكارت (René Descartes) (1596–1650)

يُعدّ ديكارت مؤسس الفلسفة الحديثة، وقد بدأ مشروعه الميتافيزيقي بالبحث عن الحقيقة اليقينية التي لا يمكن الشك فيها. قوام ميتافيزيقاه ثلاثة مبادئ أساسية:

أ. **الكوجيتو**: "أنا أفكر إذن أنا موجود"

يرى ديكارت أنّ الذات المفكّرة هي الحقيقة الأولى التي لا يمكن الشك فيها؛ هنا تصبح الذات أساس كل معرفة، وتتحول الميتافيزيقا إلى دراسة العقل قبل العالم.

ب. ثنائية الجوهر: اعتبر أن الوجود ينقسم إلى:

- جوهر مفكر (العقل)
- وجوهر ممتد (الجسم)
- وبينهما يقيم الله العلاقة الضامنة للمعرفة.

ج. وجود الله وضمانة اليقين

وجود الله الكامل هو ما يمنع العقل من الوقوع في الخطأ الدائم، وهو الضامن لصدق المبادئ العقلية الواضحة.

2. سبينوزا (Spinoza) (1632–1677)

سبينوزا قلب التصور الديكارتي رأساً على عقب، فبدلاً من الثنائية، يقول بـ جوهر واحد هو الله/الطبيعة (Deus sive Natura).

أهم أفكاره الميتافيزيقية:

- الوجود كله تعبير عن جوهر واحد لا نهائي.
- الإنسان ليس مركز الكون، بل تجلٍّ ضمن نظام ضروري.
- الحرية هي فهم الضرورة، وليست الاختيار المطلق.
- الميتافيزيقا عند سبينوزا هي تفكير في الوحدة المطلقة للوجود.

3. لايبنتز (Leibniz) (1646–1716)

قدّم رؤية ميتافيزيقية دقيقة تقوم على مفهوم الجواهر العقلية أو الموناد (Monades):

أ. الموناد

- وحدات بسيطة، غير مادية، لا تتفاعل فيما بينها.
- لكل موناد وجهة نظر خاصة على العالم.

ب. الانسجام المسبق (Harmonie préétablie)

- التناغم بين الأشياء لا يأتي من تفاعلها بل من ترتيب إلهي مسبق.

ج. أفضل العوالم الممكنة

- الله يخلق العالم الأفضل في ميزان الحقيقة والخير والنظام.

ثانياً: الميتافيزيقا عند الفلاسفة التجريبيين

1. جون لوك (John Locke) (1632–1704)

رفض لوك الأفكار الفطرية، فقال إن العقل يولد صفحة بيضاء (Tabula rasa).

وبالتالي، فإنّ الميتافيزيقا يجب أن تُبنى على الخبرة، لا على العقل المجرد.

عنده:

- لا نعرف ماهيات الأشياء بل فقط صفاتها.
- المعرفة لا تتجاوز حدود الخبرة.

2. جورج بيركلي (George Berkeley) (1685–1753)

قدّم فلسفة مثالية جذريّة:

أ. الوجود هو الإدراك

"To be is to be perceived".

العالم المادي غير موجود في ذاته؛ وجوده قائم على إدراكه.

ب. دور الله

الله هو المدرك الدائم الذي يحفظ استمرارية العالم.

3. ديفيد هيوم (David Hume) (1711–1776)

هيوم وجّه أقوى نقد للميتافيزيقا التقليدية.

نقداته الأساسية:

- السببية مجرد عادة ذهنية، لا قانون في الواقع.
- الهوية الذاتية ليست جوهراً ثابتاً، بل سلسلة انطباعات.
- المعرفة تنحصر فيما تُقدّمه التجربة.
- بهذا فتح هيوم الباب لنقد كانط لاحقاً.

ثالثاً: الميتافيزيقا عند كانط: الميتافيزيقا كعلم ممكن أم وهم؟

1. مشكلة كانط: كيف نعرف؟

بعد صراع العقلانيين والتجريبيين، حاول كانط تجاوزهما عبر نقد العقل ذاته.

2. المعرفة مشروطة ببنية العقل

العقل يفرض على التجربة مقولات مثل: الزمان، المكان، السببية، الوحدة...

إذن: الميتافيزيقا التقليدية أخطأت لأنها تعاملت مع هذه المقولات وكأنها تنتمي للواقع، بينما هي تخصّ العقل نفسه.

3. الميتافيزيقا الممكنة

الميتافيقا عند كانط تصبح:

بحثاً في شروط إمكان المعرفة وليست علماً عن الأشياء في ذاتها (noumènes)، الله، الروح، والعالم ككل: لا يمكن إثباتها عقلياً ولا نفيها، هي أفكار تنظّم العقل لكنها ليست موضوع معرفة.

رابعاً: سمات الميتافيزيقا في العصر الحديث

- الانتقال من العالم إلى الذات: العقل والملاحظة هما أساس أي معرفة.
- الشك المنهجي أصبح أداة مركزية في تأسيس اليقين.
- القطع مع الميتافيزيقا المدرسية (السكولائية).
- تراجع مفهوم الجوهر لصالح التجربة والعقل النقدي.
- وصول الميتافيزيقا إلى مرحلة إعادة التأسيس مع كانط.

أهم المراجع

مراجع عربية

- مصطفى النشار – الفلسفة الحديثة.
- عبد الرحمن بدوي – موسوعة الفلسفة، قسم الفلسفة الحديثة.
- جورج طرابيشي – معجم الفلاسفة.

مراجع أجنبية

- Copleston, F. A History of Philosophy, Vol. 4–6.
- Kenny, Anthony – A New History of Western Philosophy.
- Scruton, Roger – Modern Philosophy: An Introduction and Survey.
- Descartes – Meditations on First Philosophy.
- Kant – Critique of Pure Reason.